٢٠٠٢٠٧٢٤-٠٠٠١-٢

النهار
الأربعاء ٢٤ تموز ٢٠٠٢

تشبّهوا بهم

قام اول من امس ٥٨ شخصا من اهالي المفقودين بما لم يجرؤ ان يقوم به المسؤولون اللبنانيون منذ اعوام رغم انه أقل واجباتهم حيال مواطنيهم.

بعدما يئسوا من المماطلة والتسويف، بل الاهمال والذل والاهانة التي ارتضوها وتحملوها قسرا من اجل عيون احبائهم المفقودين، توجهت أمهات وآباء وزوجات وشقيقات الى سوريا للسؤال مباشرة عن مصير أحبائهم، ومن دون جميل الوسيط اللبناني الرسمي، واعطاء الاثباتات والبراهين عن وجود العديد منهم أحياء لانهم كانوا يزورونهم، والمطالبة باطلاقهم واعادتهم الى عائلاتهم.

اعوام جرجرت الاعوام فاقت عند البعض الربع قرن، كان خلالها الاهالي يتصارعون بين الالم والامل، العذاب والرجاء، الضياع والايمان. وان تسلل الشك أحيانا الى عقولهم والضعف الى قلوبهم، الا ان فقدان الامل كان مستحيلا، والفرح المعقود على اللقاء الموعود، كان دائما الحافز على المتابعة والاستمرار. وهو الخيط الرفيع الوحيد الذي كان يربط الاهالي بـ"المسؤولين" فيظهرون لهم انهم يصدقون مساعيهم الوهمية.

وامام هذه الحيرة القاتلة والمشاعر المتناقضة كان المعنيون اللبنانيون يتجبرون ويتجاهلون ويتسابقون لاقفال ملف عشرات الآلاف من المفقودين اللبنانيين، هكذا بكل بساطة ومن دون اي شعور بالمسؤولية او بذرة من احساس وضمير، اذ ما دام ليس بين اولئك المفقودين واحد من ابنائهم او اخوتهم او أزواجهم. فالامر ليس مهما وصاروا يتبارون ويتبرعون، والشاطر من يسبق الى الاعلان ان "الملف مقفل نهائيا، ولا معتقلين في السجون السورية". هكذا قرروا! لكن مسار الاحداث والايام اثبت العكس، وواقع الامور بين دجلهم وزيف كلامهم والحجم الصغير لمناصبهم ومسؤولياتهم. وكلما كانوا يمعنون في النفي، كانت تطلق دفعة من المعتقلين: في آذار ١٩٩٨ اطلق ١٣٠ معتقلا، وفي كانون الاول الفائت اطلق ٥٤ واعلنت لائحة بأسماء ٩٥ آخرين لا يزالون موقوفين في السجون السورية.

لكن الاهالي ظلوا يرفضون ان تموت قضية ابنائهم وأحبائهم، بعد سنتين من التمديد والتجميد وانتظار "التقرير الموعود" لـ"هيئة تلقي شكاوى اهالي المفقودين"، تلقف الاهالي بادرة الرئيس السوري بشار الاسد امام مجلس النواب الفرنسي في زيارته الاخيرة لباريس حين اعلن ان "لا وجود لمعتقلين لبنانيين في السجون السورية لكنه مستعد للبحث في طلبات الحكومة اللبنانية اذا وجدت". وتحركوا عفويا وتلقائيا، وقرروا التوجه الى سوريا لسؤال المسؤولين فيها مباشرة عن مصير مفقوديهم.

وبينما رفض الرئيس اميل لحود استقبالهم مرات عدة على مدى الثلاث سنوات الفائتة، وبعدما صرح الرئيسان الحريري وبري مرارا بعدم وجود مخطوفين او مفقودين رافضين ايضا استقبالهم والاستماع اليهم، استقبلهم اول من امس وزير الداخلية السوري واستمع اليهم بطلب من الرئيس السوري واعدا باعطاء جواب خلال الاشهر الثلاثة الاخيرة. وقد طرح الاهالي فكرة الاطلاق السري والفردي من دون اي ضجيج او اعلام، فالمهم ان "نسترد اولادنا فقط" كما أكدوا للوزير.

طبعا هذا لا يعني ان مجرد اللقاء يعني ان القضية حلت وانتهت، والاهالي لن "يسكروا على زبيبة" بل المطلوب ان تلي هذه الخطوة خطوات اخرى اساسية اهمها:

١- درس الملفات بصورة جدية والاستحصال عليها من هيئة الشكاوى اللبنانية التي لم تعد تنفعها بشيء.

٢- اجراء الاستقصاء "الحقيقي والفعلي" في السجون السورية عن المفقودين الذين قد يكونون تحت أسماء اخرى كما حصل مع احدهم الذي اطلق منذ مدة وكان معروفا باسم غير اسمه الحقيقي.

٣- اعطاء الاهالي، ولا سيما منهم الذين كانوا يزورون اولادهم في السجون وأوقفت الزيارات بعدها، البراهين المقنعة على مصيرهم.

شمعة الامل لا تزال مضاءة، فقد تكون هذه الخطوة الاولى في مسيرة الالف ميل التي يمشيها الاهالي والمخطوفون على حد سواء منذ أكثر من عشرين عاما على طريق الحرية والحياة، وربما ايضا الموت.

مي عبود ابي عقل